

## الدين هو الحبّ

الشيخ ابراهيم بدوي

الكلمات المفتاحية: ابراهيم بدوي، الدين، الحبّ، مراتب الحبّ، العمل، حبّ الله، فعل الله.

نقل الشيخ جواد مغنية عن ابن عربي أنه كان يقول حينما يسأل عن دينه: "أدين بدين الحبّ"<sup>1</sup>.

لا ريب أن الدين الحقيقي هو الدين القائم على حبّ الله تعالى، لا على الخوف ولا على الطمع، ولا على أي شيء آخر. والحبّ هو أعلى درجات معرفة الله تعالى، إذ لا يمكن للمرء أن يحب ما لا يعرف. وكلما كانت معرفته لله أقوى وأشد، كان حبه له أكثر صدقاً.

وإلى هذه المعرفة يشير الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام في قوله: "لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله تعالى ما مدّوا أعينهم إلى ما متّع الله به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها، وكانت دنياهم أقلّ عندهم مما يطؤونه بأرجلهم، وتنعموا بمعرفة الله، وتلذذوا بها تلذذوا من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله"<sup>2</sup>.

### أعلى مراتب الحب

والحب الصادق لله تعالى يجعل المحب لا يرى شيئاً غير محبوبه، فكل ما في الوجود عنده هو مظهر من مظاهر الله وتجلّ من تجلياته. فلا يعود يرى في هذا الوجود شيئاً سوى الله سبحانه، فإذا رأى الأشياء رأى الله فيها، فيعيشه بكلّ كيانه، ويشعره بكلّ حواسه، فإذا تذوّق حلاوة حبه لا يعود يرى شيئاً غيره، يستحق أن يعرف أو يُحب.

لذا قال علي عليه السلام: "ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه"<sup>3</sup>. من هنا، كان من الطبيعي أن يجد المحبّ بوجود حبيبه كل شيء، ويفقد بفقده كل شيء. وقال الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفته: "ماذا وجد من فقدك؟ وما الذي فقد من وجدك؟"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> محمّد جواد مغنية، نظرات في التصوّف والكرامات، الصفحة 23.

<sup>2</sup> المالكي التبريزي، المراقبات، الصفحة 132.

ونقل عن أحد العارفين أنه قال: "حججت للمرة الاولى فرأيت الكعبة، ولم أر ربّ الكعبة، ولما حججت الثانية رأيت الكعبة وربّ الكعبة، ولما حججت الثالثة رأيت ربّ الكعبة، ولم أر الكعبة"<sup>5</sup>.

## الحبّ والعمل

والحبّ يجعل بين الخالق والمخلوق لوثًا من الاتحاد في المشيئة، فلا يريد العبد إلا ما يريد مولاه، ويحبّ كلّ ما يحبّه مولاه، ثم يجد العبد في نفسه فرقانًا يعرف من خلاله ماذا يريد مولاه وماذا لا يريد.

قال النبي محمد صلى الله عليه وآله: "إذا أحبّ الله عبدًا، جعل له واعظًا من نفسه، وزاجرًا من قلبه، يأمره وينهاه"<sup>6</sup>. فإذا عمل بما عرف يكرمه مولاه بكرامة ما بعدها كرامة، وذلك بأن يحبّه، ويأمر الناس بحبّه، ثمّ يجتبيه، فيفتح عليه من عطائه ما لا حدود له.

وقال صلى الله عليه وآله: "إذا أحبّ الله عبدًا ابتلاه، فإن صبر اجتباه، وإن رضي اصطفاه"<sup>7</sup>.

وحالة الحبّ لكلّ ما يصدر عن المحبوب أرفع من حالة الصبر والرضا بالقضاء. بل إنه تعالى ينظر إليه بعين الودّ حتّى يكون له كما يكون هو له. لذا، قد يفهم من خلال بعض النصوص أن الله تعالى إذا أحبّ العبد أحبّ ما يحبّه ذلك العبد. حيث ورد في الحديث الشريف: "إن لله عبادًا إذا أرادوا أراد"<sup>8</sup>.

وقال صلى الله عليه وآله حاكياً عن الله: "لا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به"<sup>9</sup>.

---

<sup>3</sup> القبائحي، مسند الإمام علي عليه السلام، الجزء 1، الصفحة 150.

<sup>4</sup> دعاء يوم عرفة للإمام الحسين عليه السلام.

<sup>5</sup> مغنيّة، نظرات في التصوف والكرامات، الصفحة 71.

<sup>6</sup> الفيض الكاشاني، المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء، الجزء 8، الصفحة 76.

<sup>7</sup> محمّد مهدي النراقي، جامع السعادات، الجزء 3، الصفحة 145.

<sup>8</sup> محمّد جواد مغنيّة، نظرات في التصوف والكرامات، الصفحة 89.

وعلي عليه السلام، هو ذلك المحب لله الذي أحبه الله تعالى فاجتباها، وجعله ولي الأمر بعد الرسول، ثم اصطفاه فجعله نفس محمد. وقد أطبقت كلمة علماء المسلمين على أن المصطفى صلى الله عليه وآله قال يوم خيبر في حقّ علي عليه السلام: "لأعطين الراية غدًا رجلًا يحبّ الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله"<sup>10</sup>.

### حبّ الله وحبّ فعله

ثم إذا بلغ العبد مرتبة الحب القائم على المعرفة وعلى الالتزام السلوكي الكامل بمشيئته التشريعية، عاد مرة أخرى إلى الوجود والناس والكائنات ليرى الأشياء بصورة مختلفة، وليعيد صياغة علاقته بها على ضوء هذا الحب العرفاني الرائع، فيحبّ الناس ويحبّ الوجودات كلّها حتّى الجماد والنبات والحيوان، لا لشيء سوى لأنّها من مخلوقات حبيبه ولأنّ حبيبه يحبّها.

ألم يقل الشاعر العذري:

أمر على الديار ديار ليلي      أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حبّ الديار شغفن قلبي      ولكن حبّ من سكن الديارا<sup>11</sup>

قال جلال الدين الرومي: "ليس حب الناس إلا نتيجة لحبّ الله"<sup>12</sup>.

وهذا ما يفسّر لنا موقف علي عليه السلام وأهل بيته في ما ذكرته مفسّلاً سورة الإنسان، من قضية إطعام المسكين واليتيم والأسير. { إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا }<sup>13</sup>.

---

<sup>9</sup> محمّد مهدي التراقي، جامع السعادات، الجزء 3، الصفحة 145.

<sup>10</sup> الشيخ المفيد، الاختصاص، الصفحة 150.

<sup>11</sup> من شعر مجنون ليلي العامريّ، راجع: جامع الشواهد، باب الواو مع الميم، الصفحة 220.

<sup>12</sup> محمّد جواد مغنّية، نظرات في تصوّف والكرامات، الصفحة 23.

<sup>13</sup> سورة الإنسان، الآية 9.

فهو يرى أن حبه لله يستلزم حبّ مخلوقاته بغضّ النظر عن دينهم ومعتقدهم، وبغض النظر عن نسبهم وانتمائهم. إنه يحبّ الله، ويجب فعله، والمخلوق كلهم عيال الله.

لقد مارس علي هذا الحب قولاً وعملاً حتّى نقله إلى أبنائه وأصحابه المقربين، ولذا قال أحد أبرز أصحابه، وهو أويس القريني: الذي كان إذا أمسى تصدّق بما في بيته من الفضل من الطعام والثياب، ثم يقول: "اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به، ومن مات عرياناً فلا تؤاخذني به"<sup>14</sup>.

فسلام الله عليك يا علي، يا حبيب الله، في يوم مولدك، وسلام عليك في يوم شهادتك، وسلام عليك يوم تنصيبك قسيم الجنة والنار.

---

<sup>14</sup> الريشهري، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب، الجزء 12، الصفحة 67.